

فؤاد شهاب: قم من القبر، نريدك حياً!

الخصائص والمكتسبات التي حصلت عليها في العهد الشهابي، ثم ان الممارسات "الديموقراطية"، ايام الرئيس فرنجية، كانت غاية في "الابتكار"، ومن سخريّة القدر ان تدفع "النهار" ثمناً لذلك، وهي التي ساهمت في مجيء الرئيس فرنجية الى الحكم. اولم يوعز الى الامن العام (المفوض زاهي بستاني) آنذاك بالاتصال بشركات الاعلان لمنعها من نشر اعلاناتها في "النهار"... وكان من نتيجة ذلك، ان اختفت الاعلانات من الصحيفة...

في اختصار شديد كان يمكن "الزخم" والتأييد الكبيرين للذين رافقا تسلم الرئيس فرنجية سلطاته ان يوظفا في وضع الامور في نصابها، الا ان شيئاً من ذلك لم يحدث. اما "الزخم" المعنوي الذي رافق تولي الرئيس الراحل الياس سركيس سلطاته الدستورية، فتجلى بتأييد عربي، من خلال اتفاق الرياض عام 1978، واستقرار امني في بدايات عهده، لكن الثابت ان هذا الزخم تعثر او بالاحرى فقد مضمونه نتيجة تسلط الميليشيات المحلية وارتباطها بالخارج ما اضعف سلطة الدولة، فلم يستطع الرئيس سركيس ان يمضي قدماً في عملية التطور المطلوبة.

واذ تولي الرئيس السابق امين الجميل الحكم بعد مقتل شقيقه الرئيس بشير، فانه من الجدير بالذكر ان نشير الى ذلك الاجماع النيابي وحتى الشعبي (!؟) الذي تجسد بانتخابه رئيساً للجمهورية وذلك بغالبية نيابية في ثكنة الفيضية. ذلك الاجماع، شكل، ولا شك: "زخماً" وافراً، ثبت وياً للأسف، انه لم يوظف لا على المستوى السياسي لانهاء الازمة اللبنانية، ولا على صعيد لجم الفساد والممارسات الخاطئة! اما الرئيس الهراوي، فالسؤال لا يزال مطروحاً عما اذا كان بالفعل استطاع ان يحقق مكتسبات نتيجة "الزخم" الذي رافق الحكم، والذي تجسد عبر محورين: اتفاق الطائف وتولي الرئيس رفيق الحريري رئاسة الوزراء لمدة تزيد على خمس سنوات. وقد يكون العذر في ذلك، ان عهده تزامن مع بدء فرض الوصاية السورية على مجريات الامور. وفي ما يتعلق بعهد الرئيس اميل لحود، فلا ضرورة للاسهاب. ولعله من اسوأ العهود التي مرت على لبنان. فحدث ولا حرج!

استعرضنا كل العهود السابقة واستثنينا عهد الراحل الكبير الرئيس فؤاد شهاب. والحق فانه يتميز عن كل اقرانه السابقين. ف"الزخم" الذي رافق عهده بناء على الاجماع الوطني الذي ترجم بانتخابه رئيساً للجمهورية، اثر أحداث عام 1958 وظف لمصلحة البلاد والعباد نتيجة تصميم جلي وواضح لبناء دولة الاستقلال بعد نيلنا استقلال الدولة بحسب قول الراحل الكبير. من هنا دوره المميز والمتميز في بناء دولة المؤسسات والتي اشير اليها في الندوات السابقة في الذكرى الخامسة والعشرين لغيابه. ومن شبه المؤكد انه لو قدر للانجازات الشهابية ان تنمو وتتطور لما وصلت بنا الحال الى ما وصلنا اليه. ولعل ابلغ شهادة هي شهادة الخصم. وهنا نستشهد باثنين: العميد ريمون اده والوزير والنائب السابق كاظم الخليل. ويروى ان العميد اده، قبيل وفاته في احدى جلساته الخاصة اقر بعدم صوابية خصومته للرئيس الراحل. علماً ان العميد كان - وياً للأسف الشديد - كان قد اطلق مقولته الشهيرة: "الصهيونية، الشيوعية والشهابية اعداء لبنان". سامح الله العميد اده. فكيف يقارب بين الصهيونية والشيوعية والشهابية؟ يقول الوزير الراحل كاظم الخليل "كان كل مدة ولايته في قيادة الجيش ورئاسة البلاد نظيف الكف لم تفره المادة ولم يجمع منها غير ما هو في حاجة اليه. عاش فقيراً وعزيز النفس موفوراً الكرامة ومات كذلك. ويضيف "تسلم الحكم وفي رأسه هدفان رئيسيان: اعادة الامارة الشهابية (١٢) واصلاح اجهزة الدولة ومحاربة الفساد والحد من نفوذ النواب والزعماء الممتد الى كل دوائر الدولة" (مذكرات كاظم الخليل، "النهار" 1990/4/30).

اثر وفاة الراحل الكبير الرئيس فؤاد شهاب كتبت احدى الصحف "في النعش جبل من لبنان". لا اعتقد ان الوصف كان دقيقاً. فلكي يكتمل المشهد، وجب القول انه بجانب الجبل، كان في النعش ايضا أرزة... من ارز لبنان. ايها الراحل الكبير: في ذكرى مرور ربع قرن على رحيلك نتحسر على غيابك ونتمنى حضورك... فبالله عليك قم من القبر، نريدك حياً!

الفصول الثلاثة التي نشرتها "النهار" ابتداء من الثلاثاء (2008/11/18) من كتاب

الصحافي البارز نقولا ناصيف "جمهورية فؤاد شهاب، والذي يوافق صدوره ذكرى مرور ربع قرن على وفاة الراحل الكبير، اثارت فينا الحنين لرئيس لم يسبق له مثيل، اضافة الى ضرورة إلقاء الضوء على ميزتين أساسيتين افتقدتهما كل الرؤساء السابقين العشرة الذين تعاقبوا على سدة الرئاسة منذ الاستقلال.

الميزة الاولى، قدرة الراحل الكبير، على تشريح الوضع اللبناني بدقة بالغة، وعلى استشراف الحلول المناسبة، اما لتجنب لبنان الازمات المرتقبة، او لاستيعابها. اما الميزة الثانية التي اود التعقيب عليها فهي نجاحه في توظيف "الزخم" السياسي الذي رافق توليه السلطة. هنالك ظاهرة مهمة في النظام السياسي اللبناني، تكمن في ان الانتقال من عهد الى آخر منذ العهد الاستقلالي، (باستثناء عهد واحد) لم يكن انتقالاً روتينياً عادياً، بل رافقه "زخم" كان يمكن توظيفه في بناء الدولة وتخطي العقبات كلها، لو توافرت النية لذلك لدى الرؤساء المعنيين وهذا ما نجح فيه الراحل الكبير، فيما فشل كل نظرائه السابقين. ومن هنا، فالرئيس شهاب، يشكل علامة فارقة في النظام السياسي اللبناني، وسيظل متميزاً عن جميع الرؤساء، حتى اشعار آخر.

هنالك اجماع على ان الحصول على الاستقلال شكّل "زخماً" لا يقدر بثمن لعهد الرئيس الاستقلالي الاول بشارة الخوري. وكان من المؤمل - باسم الاستقلال ولأجله - ان توضع الامور في نصابها تمهيداً لتأسيس الدولة وبنائها. لكن شيئاً من هذا لم يحصل، بل تأسست "الدولة المزرعة" واستشرى الفساد تحت راية السلطان سليم، شقيق الرئيس الخوري، مما ادى الى اضعاف "زخم" الاستقلال، وانتهى عهد الرئيس الخوري تحت راية القضاء على الفساد واشكاله.

اما في ما يتعلق بالرئيس الراحل كميل شمعون، فما لا شك فيه انه لم ينجح في توظيف "الزخم" المعنوي الذي رافق تسلمه السلطة من خلال التأييد الشعبي الذي هيأته له الجبهة الوطنية، ذلك ان الحزبات والمصالح الشخصية طغت على الشعارات البراقة بالقضاء على الدولة - المزرعة - ثم ان عهد الرئيس شمعون انتهى بأحداث 1958 الاليمة، والتي

لولا حكمة قائد الجيش آنذاك فؤاد شهاب، لكانت نتائجها السلبية اشد وطأة. كان من المنتظر من الرئيس السابق شارل حلو ان يوظف "الزخم" الكبير الذي تركه الرئيس فؤاد شهاب وان يسعى الى تطويره. لكن الرئيس حلو، لم يكن اميناً لانجازات سلفه المهمة، بل كان اسير اللعبة السياسية الضيقة والمصالح الخاصة، علماً ان الرئيس حلو ساهم في دعم الحلف الثلاثي الذي جمع بين الاخوة الاعداء، كميل شمعون، بيار الجميل وريمون اده، والذي شكل نجاحه في انتخابات 1968 اللبنة الاولى للازمة اللبنانية عبر شحن الاجواء الطائفية والشوفانية المسيحية. علماً ان كل شوفانية سياسية دينية شكلت وتشكل خطراً على التوازن اللبناني.

رافق تسلم الرئيس الراحل سليمان فرنجية الحكم عام 1970، ابتهاج عم معظم المناطق وكانت الآمال معقودة - بحسب ما ظن العباد - على احياء الديموقراطية ودعم مؤسسات الدولة ووضع الامور في نصابها. الا انه وياً للأسف "الزخم" - الحدث - الذي رافق تولي الرئيس فرنجية الحكم، وظف في شكل جيد جدا بتقليص انجازات العهد الشهابي على مختلف الصعد، حيث ترافق ذلك مع "خلخلة" أجهزة الدولة وعودة السياسيين والتقليديين الى الواجهة السياسية، بدليل ان الحكومة الاولى لعهد الرئيس فرنجية التي اطلق عليها حكومة "الشباب" لم يستطع معظم وزرائها التكيف مع نهج الرئيسين فرنجية وسلام. وهكذا استقال كل من غسان تويني واميل بيطار ثم اقبل هنري اده، اما حسن مشرفية فكان طائراً في غير سربه. استقالت الحكومة الاولى، ثم خلفتها حكومة يستطيع اعضاؤها التعايش مع النهج الذي كان قائماً. كيف لا، ومن اعضائها على سبيل المثال لا الحصر، كاظم الخليل وجوزف سكاف وصبري حماده والمير مجيد ارسلان، وتم ايضا تفكيك الجهاز العسكري الذي كان العين الساهرة على البلاد بالاضافة الى تجريد الادارة من خلال ما سمي - "مجمع بعبداء" - من

المحررة: الزلازل
التاريخ: السبت ١٢/١٠/٢٠٠٨